وجعل من المكسيك مستعمرة إسبانية . كما قام الإسبان بتأسيس مركز لهم في بنما في عام ١٥١٩ وفي السنوات التالية فتحوا كل من غواتيمالا وسلفادور وهندوراس ونيكاراغوا وأسسوا عدة مدن في أمريكة الوسطى[٤٦] .

وقد تم على يد كل من فرانسوا بيزارو Pizarro وديبغو المأغرو وبالاتفاق مع شارل الخامس جمع جيش صغير والدخول إلى الأنديز في الجنوب وأسر الأنكا أتاهوالبا Atahualpa) الذي طلب من بيزارو فدية كبيرة لفك أسره[٤٧] . إلا أنه قام بقتله في ٢٩ آب عام ١٥٣٣ م بعد أن اقتسم ورفاقه الفدية المكونة من الذهب والأحجار الكريمة ، وبعد أن أرسل لشارل الخامس نخمس الكمية وكذلك بعد أن أجبر على اعتناق المسيحية آنذاك . وقد تم احتلال مدينة كوزكو بعد ثلاثة أشهر وبعد سنتين أسس بيزارو عاصمة البيرو الجديدة ليما على الساحل . والتجأ آخر إنكا إلى الجبال مقرراً مقاومة الغزاة الإسبان . وقد دخل كل من بيزارو والماغرو في صراع فيما بينهما وقتل الاثنان خلاله . ولم يتمكن الإسبان من إعادة النظام إلا بعد قرابة عشر سنوات ١٥٤٤ - ١٥٥٤ م وتم في عام ١٥٧٢ م القبض على الأنكا الأخير (آخر امبراطور لشعب الأنكا Inca) وقطع رأسه في ساحة كوزكو الكبرى[٤٨] . وبذلك تم القضاء بشكل كامل على حضارة شعب الأنكا وسميت بيرو بقشتالة الجديدة ، وحصل الإسبان منها على كميات هائلة من الفضة والذهب والأحجار الكريمة . ثم مد الإسبان نفوذهم إلى سواحل تشيلي كما أنشؤوا مستعمرات في كل من بوليفيا وفنزويلا وكولمبيا والأرجنتين مثل مدينة (بوينس آيرس Buenos Aires) في عام ١٥٣٥ م عند مصب نهر لابلاتا . ولم يحل منتصف القرن السادس عشر حتى أخضع الإسبان أمريكة الجنوبية باستثناء البرازيل التي استقر فيها البرتغاليون في عام ١٥٦٩ م وطبعوها بطابع حضارتهم وفرضوا عليها لغتهم ونظمهم . وقد اتجه الإسبان بعد سيطرتهم على أمريكة الشمالية بعمليات استكشافية في أمريكة الشمالية فقد تمكن حاكم كوبا الإسباني هرناند دي سوتو Hernando de Soto في عام ١٥٣٩ م من الوصول إلى فلوريدا التي كانت قبل ذلك مسرحاً لعدة مغامرات إسبانية فاشلة[٤٩] حيث هزم الهنود الحمر وخلّف وراءه حامية ثم انطلق مع نحو ستمائة رجل يجوس لأربع سنوات خلال ما يعرف حالياً بالولايات الجنوبية متوغلاً في الغرب حتى

أوكلاهوما وتكساس . وقد اتخذ الإسباني كورونادو Coronado من المكسيك قاعدة له وقام بعدة رحلات استكشافية صوب الشمال حيث بلغ وادي كولورادو الكبير في عام ١٥٤٠ م . وقد تمكن الإسبان من تأسيس أول مستوطناتهم في فلوريدا وهي سانت أوغسطين St. Augustine في عام ١٥٦٥ م ، حيث بنوا قلعة كبيرة من أجل حماية مستوطنتهم من غارات الهنود الحمر ومن أطماع الدول الأجنبية . ولم يتمكن الإسبان حتى عام ١٧٦٩ م من احتلال كاليفورنيا احتلالاً حقيقياً . وقد أقبل مع الجنود الإسبان الكثير من المبشرين الفرنسيسكان برئاسة جونيبير وسيزا للمساعدة على إنشاء سان ديجو ودمونيرية .

نظام الاستعمار الإسباني :

تم في نحو عام ١٤٩٣ م إنشاء مكتب الإدارة الرئيسة للهند الغربية في إشبيلية برئاسة جوان دي فونكا Juan de Fonseaca ، الذي ظل يشغل هذا المنصب لمدة ثلاثين عاماً . وكان الهدف من إنشاء هذا المكتب هو تنظيم إيرادات المستعمرات والإشراف على الراغبين في الهجرة وبالتالي تنظيم مركز في إسبانية لإدارة المستعمرات في العالم الجديد . وعندما ازدادت المسؤوليات تم تأسيس وكالة خاصة للإشراف على التجارة والمستعمرات Casade Contratacion ، وقد أقيمت هذه الوكالة في إشبيلية . ثم نقلت إلى قادش ومن مهماتها الإشراف على عمليات النقل البحري والتجارة وكل ما يخص شؤون العالم الجديد التجارية . وقد ظلت هذه الوكالة تنظر في مسائل المستعمرات الجديدة إلى أن تم تأسيس مجلس الهند الغربية في مدريد ، الذي أصبح يتمتع بكيان مستقل منذ عام ١٥٢٤ م ، والذي بقي قائماً حتى عام ١٨٣٤ م . وقد كلف هذا المجلس بقيادة الإدارة الاستعمارية فكان يعين ويعزل (بناء على موافقة التاج) نواب الملك Viceroys[٥٠] وحكام المستعمرات ورؤساء الأساقفة ورجال الدين ، وقد أنشئت أبرشيات ضمت كل واحدة منها أقساماً دينية عديدة وقام الدومنيكان الفرانسيسكان بتأسيس أديرة كثيرة . وكان تنفيذ قرارات إسبانية يتم عن طريق مجالس الأودنكياس Audiencias القضائية والسياسية ، حيث أنشئ أول هذه المجالس في سان دومنجو عام ١٥١١ م ثم تلته مجالس عديدة في كل من مكسيكو وبنما وليما . وقد تم استعمار الهند الغربية على النمط الأوربي مما أدى إلى تبلبل التقاليد الزراعية السائدة

ووصل حتى خط عرض ٦٧ شمالاً . وقد شغلت أمور الإصلاح الديني الإنكليز عن الكشف الجغرافي خلال عهد كل من الملوك هنري الثامن وأدوارد السادس وماري ما عدا ما قام به وليم هوكنز Hawkins في عهد الملك هنري الثامن من خلال رحلات عديدة إلى البرازيل عام ١٥٣٠ م وكذلك رحلات جون هوكنز التجارية على طول ساحل غينيا من أجل الذهب والرقيق وانطلاقه من هناك إلى مياه البحر الكاريبي وأخيراً عودته إلى إنكلترة مروراً بسواحل أمريكة الشمالية [٥٥] . وقد تابع الإنكليز رحلاتهم الاستكشافية في عهد الملكة إليزابيت ١٥٥٨ - ١٦٠٣ م التي منحت السير همفري جلبرت في عام ١٥٧٨ م امتيازاً تضمن احتلال وسكن جميع الأراضي البعيدة والوثنية التي لا يملكها مسيحي . بدأ جلبرت رحلته عام ١٥٨٣ م باتجاه الغرب ووصل إلى نيوفوندلاند وبدأ باستعمارها ، ولكن محاولته باءت بالفشل لأنه غرق وهو في طريق عودته إلى إنكلترة . وبعد ست سنوات تقريباً أعادت الملكة إليزابيت المحاولة عندما منحت السير والتر رالي Walter Raleigh امتيازاً باستكشاف واستيطان المنطقة الساحلية الممتدة من نهر سنت لورنس في الشمال حتى فلوريدا في الجنوب. فأرسل رالي بين سنتي ١٥٨٤ - ١٥٨٦ م خمس حملات إلى العالم الجديد انتهت بإقامة مستعمرة على جزيرة رونوك Roanoke Island بفرجينيا Virginia . ولكن هذه المستعمرة لم تدم طويلاً بسبب صعوبة وصول الإمدادات والمؤن إليها وبسبب مقاومة الهنود للمستعمرين الأوربيين [٥٦] .

وبدأت فرنسة عمليات الكشوف الجغرافية قبل إنكلترة بوقت متأخر والسبب هو حرصها على بناء إمبراطوريتها في أوربة وليس في العالم الجديد . وقد وجهت فرنسة جهودها نحو كشف أمريكة الشمالية من أجل البحث عن طريق شمالي غربي يؤدي إلى المياه الآسيوية . ففي عام ١٥٢٤ م تمكن الفلورنسي جوفاني دا فيرازانو Verazzano بوساطة سفينة فرنسية استكشاف الشاطئ الشرقي لأمريكة الشمالية ابتداءً من رأس فير Cape Fear وانتهاءً بنوفاسكوشيا Novasctia [٥٧] . وبعد نحو عشر سنوات قام الملاح الفرنسي جاك كارتيه Jacques Cartiers برحلتين الأولى ١٥٣٤ م ارتاد فيها سواحل نيوفوندلاند وعبر مضيق بل ووصل إلى ساحل شبه جزيرة لابرادور والثانية في العام التالي حيث استكشف مصب نهر سنت لورنس St. Lawrence ثم

اعتلى واديه وبلغ مدينة كوبيك Quebec الحالية واستمر في تقدمه حتى بلغ موقع مدينة مونتريال Montreal الحالية وعاد في العام التالي إلى فرنسة [٥٨] . وقد حاول الفرنسيون بعد سنوات من رحلة كارتيه الثانية احتلال كندا أو حوض سانت لورنس الأدنى ، فقد أرسل الملك فرانسوا الأول كارتيه مرة أخرى عام ١٥٤١ م بحملة تتألف من خمس سفن ثم لحق به سيير دي روبرفال Sieur de Roberval . وقد تمكن كل من كارتيه وروبرفال أن يشقا طريقهما إلى الداخل حتى موقع مونتريال . أي أن محاولته بالاستيطان باءت بالفشل بسبب عداء الهنود والبرد القارس ، مما اضطر المستوطنين للعودة إلى فرنسة . وقد استمرت جهود الفرنسيين في الجنوب في كل من البرازيل وفلوريدا حيث تمكنوا من بناء حصن كوليني Colitny في البرازيل ، واتجهوا منه نحو فلوريدا التي استخدموها كقاعدة بحرية لمهاجمة السفن الإسبانية المحملة بذهب وفضة العالم الجديد .

وفي عام ١٥٦٢ م قام أحد البحارة الفرنسيين بسلسلة من المحاولات لإنشاء مستعمرة فرنسية في فلوريدا ولكنه لقي مقاومة عنيفة من الإسبان الكاثوليك هناك، وكذلك قاوم البرتغاليون الكاثوليك محاولات الاستيطان الفرنسية في البرازيل . وهكذا انقضى القرن السادس عشر دون أن يوفق كل من الإنكليز والفرنسيين في إقامة مستوطنة دائمة لهم في العالم الجديد [٥٩] . وقد خاب أمل الوصول إلى الهند بطريق الشمال الشرقي بعد أن قضى الهولندي بارنتز Barentz شتاءً قاسياً في أرخبيل الجديدة في الجزء الشمالي من سيبريا في عام ١٥٩٦ م .

نتائج الكشوف الجغرافية :

أسفرت الكشوف الجغرافية عن نتائج عديدة أهمها :

أولاً - تكوين الإمبراطوريات الاستعمارية : الإمبراطورية البرتغالية والإمبراطورية الإسبانية . ويعد تكوّن الإمبراطوريات الاستعمارية من أهم الآثار البعيدة المدى في تاريخ أوربة بل في تاريخ العالم من الناحية السياسية . وكانت البرتغال وإسبانية في مقدمة الدول الأوربية التي اندفعت نحو استعمار المناطق الجديدة فقد وجدتا في مغامرتهما استمراراً لحربهما الصليبية ضد العرب وبالوقت نفسه وسيلة لنشر الدين

٣٦ - انظر : ليلى الصباغ ، المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

٣٧ - انظر : عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

٣٨ - انظر : نور الدين حاطوم ، المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٣ . وعبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق ، ص ٣٣٦ . وليلى الصباغ ، المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

دار المعارف للكتب الجامعية

مكتبة دار المعارف
للكتب الجامعية
بيع وشراء الكتب الجامعية
طباعة - استنساخ - رايزو - كبس هويات - سايبرول
مجمع كليات باب الزبير - مقابل عمادة الآداب
موبايل
٠٧٨٠١١٧٠٠٧٨
عبد الرزاق عبد علوم

الفصل الرابع
الإصلاح الديني

مرّت الكنيسة في أواخر العصور الوسطى بأزمات كبيرة ، قسمت المسيحية إلى فهناك الانشقاق البابوي ١٣٤٨ - ١٤١٧ م ، وحركة وايكلف الإنكليزية[١] ، وحركة هس التشيكي[٢] في بوهيميا ، وأخيراً حركة سافونارولا في فلورنسة . إلاّ أنّ هذه الحركات بقيت محلية إلى حدّ كبير . أمّا أزمة القرن السادس عشر فقد انتشرت بشكل كبير ، وأدّت إلى الإصلاح الديني ، الذي يعد ثورةً دينية حقيقيةً قسمت المسيحية على نفسها ، وانتزعت عدداً من الكنائس القومية من سلطة الكنيسة البابوية . ومن الملاحظ أن المطالبة بالإصلاح الديني قد مرّت بمرحلتين ؛ تمثّلت المرحلة الأولى بمطالبة الكنيسة بالقيام بإزالة مفاسدها ، والعمل على تنظيم شؤونها على أيدي رجال داخل الكنيسة وبواسطة الكنيسة ذاتها . وقد عَقَدَ رجال الدين الكاثوليكي المجالس الدينية لإدخال الإصلاحات اللازمة ، إلاّ أنّ محاولتهم كان نصيبها الإخفاق . وكان آخر مجلس هو الذي عقد في بازل عام ١٤٣١ م ، حيث طالب بوضع قرارات المجالس الدينية فوق قرارات البابا ، وبالحد من سلطة البابا ونفوذه . ويعد ديديه ايرازموس Didie Erasmus ١٤٦٧ - ١٥٣٦ م من كبار المصلحين في هذه المرحلة وزعيماً للدراسات الإنسانية أيضاً . فقد شنّ حملةً عنيفةً على مفاسد الكنيسة الكاثوليكية ، وسَخّر مواهبه للكتابة عن فضائح رجال الدين وعيوبه . عاصر ايرازموس مارتن لوثر معه في الاتجاه الإصلاحي نفسه ، إلاّ أنّه يختلف عن مارتن لوثر ، الذي قاد حركته الدينية ، وانفصل عن كنيسة روما ، في حين بقي هو على ولائه لهذه الكنيسة معتقداً بإمكان إصلاحها . وقد تمثّلت المرحلة الثانية بمطالبة الكنيسة بالإصلاح وإرغامها على قبوله على أيدي أشخاص خارجين عنها (الإصلاح الخارجي) ؛ أي أن الإصلاح يجب أن يُفرض على الكنيسة ما دامت قد أخفقت في إصلاح نفسها . وقد مثل هذه المرحلة كل من مارتن لوثر Martin Luther ١٤٨٣ - ١٥٤٦ م وأولريخ زونجلي Ulrich Zwingli ١٤٨٤ - ١٥٣١ م ويوحنا كالفن Jean Galivn ١٥٠٩ - ١٥٦٤ م[٣] .